﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾

سورة الحشر : ٢٢ ـ ٢٤

obeikandl.com

كلمة الافتتاح

الحمد لله الذي هدانا إليه صراطا مستقيما ، وأحيا قلوبنا بمعرفته والإيمان به ، وأنار نفوسنا بما أنزله في كتابه من أنوار الهداية ، والصلاة والسلام على الرسول المجتبى ، والنبي المصطفى ، الذي كشف الله به الغمّة ، وأقام به الملّة ، وجعله حجّة وبرهانا على الخلق ، من سلك سبيله نجا ، ومن تنكّب طريقه هلك ، وعلى صحابته الأعلام ، وآله الكرام الذين ساروا سيرته ، واهتدوا بهداه ، فامتلأت قلوبهم بالإيمان والعلم والحكمة ، فرضي الله عنهم ورَضُوا عنه ، وعلى من سار مسارهم ، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين وبعد :

فإنّ مباحث أسماء الله وصفاته من أهم مباحث الاعتقاد ، وقد سَلَكَتْ فيها الفرق الإسلامية مذاهب شتى ، ونشأ عن الضلال فيها معتقدات باطلة ، وتصورات خاطئة، وهدى الله سلفنا الصالح من الصحابة وتابعيهم على إثرهم إلى الحق فيما اختلف فيه.

وقدْ أحببت أن أدون في هذا الموضوع مؤلفا أوضح فيه مذهب أهل السنة والجماعة، مبينا الأسس التي يقوم عليها مذهبهم ، والخصائص التي تميزهم عن غيرهم، وتُجَلِّي في الوقت نفسه معالمَ المنهج القرآني الإيماني النبوي في هذا الموضوع ، وهو المنهج الذي سلكه سلفنا الصالح واعتمدوه .

واتّباع هذا المنهج هو السفينة التي ينجو من ركبها ، ويغرق من تركها ، فقد شهد الله لصحابة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكرم شهادة ، وأخبر برضاه عنهم :

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [1].

فمن سلك سبيلهم فإنه ينال مثل ما نالوه من الإكرام والرضوان كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ [2].

وكان من دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿فمن تبعني فإنّه مني﴾ [3] ولذلك فإن ﴿أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾ [4].

ومخالفة القوم وسلوك طريق غير طريقهم تباعد بين الفريقين والحزبين ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [5].

وقد حكمت النصوص على من تولى قوما في هديهم وطريقتهم بأنّه منهم ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [6].

والذي كان يتبع في الدنيا قادة الضلال، وأهل الزيغ والتحريف، فإنه يحشر معهم، فقوم فرعون الذين تابعوه في الدنيا على ضلاله يوردهم يوم القيامة النار ﴿فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد، يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [7].

وجاء في الأحاديث أن الله يُمَثِّلُ في يوم القيامة لكل أمة ما كانوا يعبدونه في

---

(١) سورة التوبة: ١٠٠

(٢) سورة الطور: ٢١

(٣) سورة ابراهيم: ٣٦

(٤) سورة آل عمران: ٦٨

(٥) سورة النساء: ١١٥

(٦) سورة المائدة: ٥١

(٧) سورة هود: ٩٧ ـ ٩٨

الدنيا من حجر أو شجر أو بشر أو قمر أو غير ذلك ، فيتابعونها حتى تهوي بهم في النار ، إلا الذين أخلصوا دينهم لله الواحد المعبود .

وكذلك كل من اتبع في الدنيا إماما في سنَّة أو بدعة ، أو خير أو شرّ ، كان معه في الآخرة ، فمن أحب أن يكون مع السلف الصالح في الآخرة ، وأن يصاحبهم في المحشر والجنات فعليه أن يسلك سبيلهم ، وينهج نهجهم .

و الذي عظم الرغبة في تدوين هذا المؤلف أنني لم أجد كتابا منهجيا وافيا بالغرض يصلح مرجعا لمن يدرسون هذا العلم ، والمأمول أن يحقق هذا الكتاب الهدف الذي ألف من أجله ، والله المستعان .

وقد تمت هذه الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

وقد جاءت المقدمة في أربعة مباحث .

حَدَّد المبحث الأول موضوع هذه الدراسة وغايتها .

والمبحث الثاني أوضح الطريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته .

والمبحث الثالث ألقى أضواء على أهمية العلم بأسماء الله وصفاته .

وأما المبحث الرابع فإنه يتحدث عن فوائد مزعومة لمعرفة الأسماء والصفات .

والفصل الأول مخصص للبحث في الأسماء الحسنى ، وقد بلغت مباحثه خمسة مباحث .

حَقَّقتُ في المبحث الأول منه القول في عدد أسماء الله الحسنى .

وخصصت المبحث الثاني لتعيين هذه الأسماء .

وبينت في المبحث الثالث الضوابط والقواعد التي اعتمدتها في تحديد ما هو من أسماء الباري مما ليس من أسمائه ، وقد بلغت هذه القواعد والضوابط أربعة عشر ضابطا ، عَقَدْتُ للحديث عنها وبيانها أربعة عشر مطلبا .

والمبحث الرابع عقدته لتحديد أسماء الله الحسنى في ضوء الضوابط والقواعد التي تحدثت عنها في المبحث السابق .

والمبحث الخامس ـ من هذا الفصل ـ بيَّنتُ فيه أقسام أسماء الله وصفاته ودلالاتها.

وفي هذا المبحث بيان لعدَّة قضايا منها تحقيق القول في تفاضل أسماء الباري ، والبحث في النصوص المتحدثة عن اسم الله الأعظم ، وعلاقة صفات الله بذاته ، والحقيقة والمجاز في أسماء الله تعالى .

وعَرَّفت في المبحث الأول والثاني من الفصل الثاني أهل السنة والجماعة ، كما توسعت بتعريف معتقدهم في أسماء الله وصفاته ، وقد بينت الأسس التي يقوم عليها معتقدُهم في هذا الباب ، وقد بلغت تسعة أسس ، وتجد تحت كلِّ أساس من هذه الأسس مباحث كثيرة لها علاقة بهذه الأسس .

ثم عقدت في هذا الفصل مبحثين آخرين ، أولهما : للتدليل على أن ما ذكرناه يمثل مذهب السلف الصالح ، والثاني : لإبراز الخصائص التي يتصف بها المنهج السلفي .

والفصل الثالث بمباحثه الأربعة مخصص للتعرف على الذين انحرف بهم المسار في باب الأسماء والصفات على اختلاف توجهاتهم ، وبيان الشبهات التي سببت لهم تلك الانحرافات ، وإيراد الأدلة التي تكشف عوار مذاهبهم ، وتزيل اللبس الذي خالط أدلتهم .

وبينت في الفصل الرابع الأسباب التي أدت إلى الاختلاف في باب الأسماء والصفات.

والفصل الخامس والأخير يتحدث عن مذهب السلف في معترك الصراع ، وفي المبحث الأول منه بينت مدى مزاحمة المناهج الباطلة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوسَّعت في المبحث الثاني في إيراد الأدلة الدالة على أنَّ مذهب

السلف هو الأسلم والأحكم ، وأوردت في هذا المبحث نقولا كثيرة تدلّ على مدى تناقض علماء الكلام وتضارب أقوالهم وحيرتهم في أمرهم .

والمبحث الثالث بينت فيه موقف علماء السلف من مخالفيهم .

والمبحث الرابع بينت فيه عدَّة أنماط قصد بها أصحابها تشويه مذهب السلف الصالح .

ودعوت في الخاتمة إلى المحافظة على منهج أهل السنة والجماعة متميزا عن غيره ، كي يبقى منارة تهدي السالكين ، وتنير الدرب الذي دلَّ عليه ربُّ العالمين .

آمل أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع الذي هو في غاية الأهمية ، وفق طريقة منهجية مرتبة مبوبة مفصلة ، ومن الله تعالى أسأل المثوبة ، وإليه أتوجه بطلب المغفرة عما وقعت فيه من تقصير ، فالقصور من طبيعة البشر ، وعذري أني بذلت جهدي وفق قواعد البحث التي اعتمدها علماؤنا ، والحمد لله رب العالمين .

د.عمر سليمان عبد الله الأشقر

كلية الشريعة ـ الجامعة الأردنية

عمان

obeikandl.com

المقدمة

المبحث الأول
موضوع هذه الدراسة وغايتها

تهدف هذه الدراسة إلى تجلية أصل العقيدة الإسلامية ولبها ، ألا وهو التعريف بالله وصفاته وأسمائه عبر نصوص الكتاب والسنّة ، كما تهدف إلى كشف الزيف الذي تلبّست به مباحث الأسماء والصفات في كثير من مدوّنات العقيدة .

كما تهدف إلى تجلية القواعد الضّابطة في باب الأسماء والصفات الموضوعة حماية للعقول والقلوب من الانحراف في مبحث من أهمّ مباحث الاعتقاد .

وتكشف هذه الدراسة عن المنهج الحقّ في هذا الباب الذي كان عليه الرعيل الأوّل من هذه الأمة ، وما سار عليه أتباعهم بإحسان من بعدهم .

وتسلّط هذه الدراسة الأضواء على الانحرافات التي شطّ أصحابها عن منهج أهل السنة والجماعة ، كما تكشف عن الجماعات التي صدرت عنها تلك الانحرافات .

والأصل الذي تقوم عليه هذه الدراسة هو الوحي السماويّ الذي جاء معرّفا للعباد بربّ العباد ، وقد أرشدنا الحقّ – تبارك وتعالى – إلى خط سير مثل هذه الدراسة بقوله : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾[1] .

فالآية تقرّر ثلاثة خطوط :

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٠

الأول : إثبات ما أثبته الحقّ من أسمائه الحسنى ، وما دلّت عليه الأسماء من صفات .

الثاني : ثمرة هذا العلم ، وهو دعاء الله بأسمائه الحسنى .

الثالث : معرفة خطِّ الانحراف الذي يتمثل في الإلحاد في أسمائه ، ثم اجتنابه واجتناب أهله .

وقد تحدَّث شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبينا موضوع البحث في هذا الباب وأبعاده فقال : الأصل في باب الصفات أن يوصف اللّه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أنَّ طريقة سلف الأمة وأئمتّها إثبات ما أثبته من الصفات ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل .

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته ، فإنَّ اللّه ذمَّ الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، كما قال تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ [1]. وقال تعالى : ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾ [2][3].

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٠

(٢) سورة فصلت : ٤٠

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام :٣/٣

المبحث الثاني
الطريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته

لم يتوقف البشر عن البحث عن الله ربهم وخالقهم لحظة ، فهناك شوق عظيم فوّار مركوز في أعماق النفوس البشرية يدفعها إلى معرفة الله والعلم به ، وقد استخدم كثير من الباحثين عقولهم للتعرف على أسماء الله وصفاته ، وتوصّلوا من خلال النظر في الكون إلى بعض العلم ، فقد هداهم النظر في الكون المحكم الصنع ، البديع التكوين ، الواسع الأبعاد ، الهائل الخلق ، إلى أنّ خالقه لا بدّ أن يكون عليما حكيما ، قديرا قويا ، ولكن أنىّ للعقول أن تصل إلى القدر الذي يشبع نهمها في معرفة أسماء الله وصفاته ، فما غاب عنها من الأسماء والصفات التي تعرّف بالله أكثر بكثير مما عرفوه ، وما عرفوه لم يقرّوا فيه على قرار ، بل كان في كثير من الأحيان مجال أخذ وردّ ، والعلم بالله إن لم يقم على يقين ثابت لا يعطي ثماره الطيبة .

لقد تشكّك الباحثون بالعقل المجرد في إحاطة علم الله بكل شيء ، وقالوا : إنّ الله يعلم الكلّيات ، ولا يعلم الجزئيات ، وسمّوه ـ تبارك و تعالى ـ بواجب الوجود، كما سمّوه بالعقل الفعّال .

أضف إلى هذا أنّ بعضا من صفاته وأسمائه لا يمكن أن يدركه الناس بعقولهم ، وطريق العلم به السمع مثل نزوله – تبارك وتعالى – في ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ، واستوائه على العرش ، وإثبات السمع والبصر واليدين والوجه له .

إنّ التّعرُّف على أسماء الله وصفاته عن طريق العقل وحده طريق دحض مزلّة ، وما يتوصل إليه الإنسان من حقّ قد لا يصفو لصاحبه ، وقسم عظيم من هذا الباب لا

تستطيع العقول البشرية إدراكه بعيدا عن العلم السماويَ .

يقول ابن بدزان :« إن صفاته تعالى لاتخلو من أنها إمّا أن تعلم بطريق العقل أو بطريق النقل الصادق.

فإن قلنا بالأوّل وقفناموقف الحائر ، لأننا نرى العقلاء قد اضطربوا اضطرابا شديدا في إثبات الصفات له تعالى ، فبعضهم ادعى الإثنينية ،وآخرون ادعوا التثليث ، وقوم ادعوا الحلول ، وكل هذا من أوصاف المخلوق ، ولايليق بواحد منها أن يكون من أوصاف الخالق .

وكذلك القول في الكلام والسمع والبصر ، فإن العقل ربما ينكراتصاف الخالق بهذه الصفات كما جرى للمعطلة ، وإما أن يثبتها على وفق ما هي للمخلوق كما حصل للمجسمة ، وإما أن يتردد بين النفي والإثبات ، فيبقي حائرا لا يدري إلى أي طريق يذهب »[1]

إن اللّه – تبارك وتعالى – غيب لم نشاهده ، ولم نره ، وقد أمرنا بالإيمان به ، وخشيته بالغيب ، وطريقة معرفة الغيب الخبر الصادق عن الله تعالى وتقدّس .

ولا يجوز أن نتحدّث عن الغيب بغير دليل ولابرهان ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ [2]، وقد ذم الله قوما زعموا أن الملائكة إناثا ، وجعل هذه المقالة منهم شهادة سيسألهم عنها عندما يوقفهم بين يديه : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ [3].

فإذا كان القول بغير علم في الملائكة هذا شأنه ، فكيف بالقول على الله بغير علم ، إنَّ القول على الله بغير علم جريمة توضع في مصاف الجرائم الكبرى في

---

(١) العقود الياقوتية بشئ من الاختصار : ص ٥٥

(٢) سورة الإسراء : ٣٦

(٣) سورة الزخرف : ١٩

ميزان الحقّ وشرعه : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالاتعلمون﴾[1].

إنَّ الطريق الآمن الذي يقودنا إلى معرفة الباري – جل وعلا – هو طريق الوحي الذي جلَّى لنا هذا العلم أعظم تجلية ، وهذا السبيل سبيل نيِّر مأمون العواقب ، لأنَّ مصدره العليم الخبير ورسوله الكريم .

ولا يوجد أحد أعلم باللَّه من اللَّه ، كما لا يوجد في خلق اللَّه أحد أعلم بالله من رسوله صلى اللَّه عليه وسلم .

ولذا فإنَّ مجال بحثنا في هذا الموضوع النصوص القرآنيَّة ، والأحاديث النبويَّة ، ونستعين على فهم هذه النصوص بما تركه لنا أهل العلم من تفسير وتوضيح .

---

(١) سورة الأعراف : ٣٣

obeikandl.com

المبحث الثالث
أهمية العلم بأسماء الله وصفاته

أنى لقلم العبد العاجز الضعيف أن يبرز الفوائد العظيمة والمنافع الهائلة التي تعود على الإنسان من وراء هذه الدراسة .

لقد تحدَّث العارفون بالله والعالمون بجلاله وكماله عن الخير الكبير الذي عاد عليهم من وراء العلم باللّه وصفاته وأسمائه ، وعلى الرغم مما بهروا به العقول ببيانهم ، فإنَّ علمهم الذي أناروا به القلوب ، وهدوا به العقول يبقى قطرة من بحر ، وشربة من نهر ، ووراء النصوص من الأسرار والأنوار ما يبهر العقول ، ويضيء النفوس .

وحسبك أنَّ أعرف الخلق بربِّه ، الذي هو أخشاهم للّه وأتقاهم له قرَّر فيما أخبرنا به أنَّه لايستطيع أن يحصي المحامد والمدائح التي يستحقُّها ربُّ العباد ، فقد قال في خطابه لربِّه :(لا أحصي ثناء عليك) .

ونحن في هذه الدراسة ، نستعين بالنصوص وأقوال العلماء للكشف عن منافع هذه الدراسة وفوائدها ، وسنعقد في هذا المبحث ثمانية مطالب لبيان الثَّمرات والمنافع التي تعود على العباد من وراء علمهم بأسماء الله وصفاته .

المطلب الأوّل
العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله

إذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم ويزدادوا به علما فليس أمامهم من طريق إلا التعرف إليه عبر النصوص الواصفة له ، والمصرحه بأفعاله وأسمائه ، لأنَّ الله غيب لايُرى في الحياة الدنيا .

انظر إلى قوله تعالى معَرفا بنفسه : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولانوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ (١).

وانظر إلى قوله تعالى :﴿ هو الله الذي لا إله إلاهو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.. ﴾ (٢) .

وانظر إلى حديث الله عن فعله في كونه ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ، وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ، وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ، وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ (٣).

وعندما سأل فرعون موسى ـ عليه السلام ـ عن ربه الذي أرسله عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب أبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ (٤) .

والنصوص الواردة في هذا كثير ، بل القرآن كلُّه حديث عن الله تبارك وتعالى ، وقد أوجز القرآن خلاصة الرسالات السماوية في آية واحدة من كتابه هي قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾(٥).

---

(١) سورة البقره : ٢٥٥

(٢) سورة الحشر : ٢٢ ـ ٢٣

(٣) سورة الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٣

(٤) سورة الشعراء : ٢٣ ـ ٢٨

(٥) سورة الأنبياء : ٢٩ ـ ٣٣

وقال موجزا خلاصة ما أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ [1] .

ولايستطيع العباد إدراك حقيقية العبودية وتحقيقها قولا وعملا إذا لم يعرفوا صفات الباري جلَّ وعلا .

ومن هنا ندرك عظم جناية الذين ينفون عن الله صفاته وأسماءه وأفعاله أو شيئا منها ، لأنَّهم بذلك يغلقون باب المعرفة باللَّه تبارك وتعالى ، فالموجود إذا جهلت صفاته وأسماؤه وأفعاله ، أصبح فكرة مجردة ، لا يكاد صاحبها ينتفع بها.

والذين انحرف بهم المسار فنفوا عن الله صفاته أغلقوا من باب المعرفة الإلهية بمقدار ما نفوه من الأسماء والصفات ، فإنَّه يمتنع – كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية– معرفة ذات الله بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية و السلبية ، ولو قدَّر ذلك أو فرض العبد في نفسه ذاتا مجرَّدة عن جميع القيود السلبية والثبوتية فليس ذلك معرفة بالله ألبتَّة ، وقد أخطأ خطأ عظيما من ظنَّ أنَّ ربَّ العالمين ذات مجردة عن كلِّ أمر سلبي أو ثبوتي ، ولهذا لم يتجه هذا الاتجاه ، أعني السلب الكلي لما هو ثبوتي أو عدمي إلا القرامطة الباطنية ويقرِّرون فيما يقررونه من باطل عدم جواز إطلاق الوجود أو العدم على الله ، وكذلك يأبون أن يطلق على الله كونه عالما أو ليس بعالم ، أو قادرا أو ليس بقادر [2] .

العلم بالأسماء والصفات أحد ركني التوحيد

يدلّنا على أهمية العلم بأسماء الله وصفاته ، أنَّ المعرفة بهما أحد ركنيِّ التوحيد ، والتوحيد هو الأمر الأعظم الذي جاءت الرسل لتقرِّره .

فالتوحيد الذي جاءت به الرسل نوعان : نوع في العلم والاعتقاد ، ونوع في

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٨

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٧/١٠٥

الإرادة والقصد ، ويسمّى الأول : التوحيد العلمي ، والثاني : التوحيد القصديّ الإراديّ لتعلّق الأول بالإخبار والمعرفة ، والثاني : بالقصد والإرادة . ومدار النوع الأول من التوحيد على إثبات صفات الكمال للّه ربّ العالمين ، وعلى نفي التشبيه والمثال عنه ، وتنزيهه عن العيوب والنقائص [1] .

المطلب الثاني
تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد

إنّ الشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان ، وطريق الصلاح هو إقامة العبادعلى منهج العبودية الحقّة للّه الواحد الأحد ، ولقد كان المفتاح الذي فتح به الرسل قلوب العباد هو آيات الله التي تحدّثهم عن ربهم ، وتربط قلوبهم به ، وبذلك تتّجه قلوبهم ووجوههم إلى الواحد الأحد .

لقد كان المحور الذي يدور حوله القرآن كلّه هو الحديث عن اللّه ـ تبارك وتعالى ـ وصفاته وفعله في الكون وبيان عظمته وجلاله ، والدّعوة إلى الاستجابة لشرعة ، والابتعاد عن مقته وغضبه ، وبيان فعله بأهل طاعته وأهل معصيته .

ولقد كان هذا الحديث على هذا النحو ـ ولا يزال ـ هو الذي يهزّ النفوس ، ويحرّك القلوب ، ويزيل الأدران والأرجاس التي تحبس الإنسان عن الخير ، استمع إلى قوله تعالى يحدّثنا عن تأثير النصوص المنزلة في نفوس الأخيارمن هذه الأمة : ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [2] .

إنّ العلم بأسماء الله وصفاته هوالعاصم من الزلل ، والمقيل من العثرة ، والفاتح لباب الأمل ، والمعين على الصبر ، والواقي من الخمول والكسل .

---

(١) التفسير القيم لابن القيم : ص ٢٤

(٢) سورة الزمر : ٢٣

إنّ النفوس قد تهفوا إلى مقارفة الفواحش والذنوب ، فتذكر أنّ الله يراها ويبصرها ، وتذكر وقوفها بين يديّ الله فترعوي ، وتجانب المعصية .

ويقع الإنسان في الذنب والمعصية ، ثم يذكر سعة رحمة الله ، فلا يتمادى في الخطيئة ، ولا يوغل في طريق الهاوية ، بل يعود إلى الله ربه التواب الرحيم قارعا بابه فيجد الله توابا رحيما .

وتتناوش العبد المصائب والمكاره ، فلا يجزع ولا يهلع ، ويلجأ إلى الحصن الحصين ، والركن الركين ، ويقابل المكاره بنفس راضية .

ويقارع الأشرار فيجدّون في منع الرزق عنه ، وقصم العمر منه ، ويعلم الفارس في مجال الصراع أنَّ الأرزاق والأعمار بيد الله .

وقد تحدَّث ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ عن الآثار التي يورثها الإيمان بأسماء الله وصفاته ، وذكر أنَّ لكلّ صفة من صفات الله عبودية خاصَّة هي من موجباتها ومقتضياتها.

فعلم العبد بتفرُّد الربّ تعالى بالضَّرر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، يثمر له عبوديَّة التوكّل عليه باطنا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا.

وعلمنا بسمعه وبصره وعلمه يقضي بأنَّه لا يخفى عليه مثقال ذرَّة في السموات ولا في الأرض ، وأنَّه يعلم السِّر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور يثمر للعبد حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كلّ ما لا يرضي الله ، ويجعل تعليق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، فيثمر له ذلك الحياء باطنا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح .

ومعرفة العبد بغنى الربّ وجوده وكرمه وبرّه وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء ، وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه .

ومعرفة العبد بجلال الله وعظمته وعزَّته تثمر له الخضوع والإستكانة والمحبَّة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبوديَّة الظاهرة هي موجباتها .

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبّة خاصّة ، بمنزلة أنواع العبوديّة ، فرجعت العبودية كلُّها إلى مقتضى الأسماء والصفات [1].

وتحدَّث ابن القيِّم في موضع آخر عن تأثير العلم بأسماء الله وصفاته وأوامره وأفعاله في نفوس العباد فقال : « إنَّ أحد أسرار القرآن العظام هو تحديثه عن ربِّ العباد حديثا يجلِّي فيه القرآن الربَّ لعباده عبر صفاته ، فتارة يتجلَّى الربُّ عبر آيات الكتاب في جلباب الهيبة والعظمة والجلال ، فتخضع الأعناق ، وتنكسر النفوس ، وتخشع الأصوات ، ويذوب الكبر ، كما يذوب الملح في الماء .

وتارة يتجلَّى في صفات الجمال والكمال ، وهو كمال الأسماء ، وجمال الصفات ، وجمال الأفعال الدالِّ على كمال الذات ، فيستنفذ حبُّه من قلب العبد قوة الحبِّ كلها ، بحسب ماعرفه من صفات جماله ، ونعوت كماله ، فيصبح فؤاد العبد فارغا إلاَّ من محبته ، فإذا أراد منه الغير أن يعلِّق تلك المحبة به أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كلَّ الإباء كما قيل :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فتبقى المحبة طباعا لا تكلفا .

وإذا تجلَّى بصفات الرحمة والبرِّ واللُّطف والإحسان انبعثت قوَّة الرجاء من العبد، وانبسط أمله ، وقوي طمعه ، وسار إلى ربِّه وحادى الرجاء يحدو ركاب سيره ، وكلما قوي الرجاء جدَّ في العمل كما أنَّ الباذر كلَّما قوي طمعه في المغلِّ غَلَّقَ أرضه بالبذر ، وإذا ضعف رجاؤه قصَّر في البذر .

وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسَّخط والعقوبة انقمعت النفس الأمَّارة، وبطلت أوضعفت قواها من الشَّهوة والغضب واللهو واللعب ، والحرص على المحرَّمات ، وانقبضت أعنَّة رعونتها ، فأحضرت المطيَّة حظَّها من الخوف والخشية والحذر .

---

(١) مفتاح دار السعادة : ٢/ ٩٠

وإذا تجلّى بصفات الأمر والنهي ، والعهد والوصيّة ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وشرع الشرائع ، انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره ، والتبليغ لها ، والتواصي بها ، وذكرها وتذكيرها ، والتصديق بالخبر ، والامتثال للطلب ، والاجتناب للنهي .

وإذا تجلّى بصفات السمع والبصر والعلم انبعثت من العبد قوة الحياء ، فيستحي من ربّه أن يراه على ما يكره ، أو يسمع منه ما يكره ، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه ، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى .

وإذا تجلّى بصفات الكفاية والحبّ والقيام بمصالح العباد ، وسوق أرزاقهم إليهم ، ودفع المصائب عنهم ، ونصره لأوليائه وحمايته لهم ومعيته الخاصة لهم ، انبعثت من العبد قوّة التوكّل عليه والتفويض إليه ، والرضا به ، وبكلّ ما يُجْريه على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه .

والتوكّل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده ، وثقته به ، ورضاه بما يفعله به ، ويختاره له .

وإذا تجلّى بصفات العزّ والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته ، والانكسار لعزته ، والخضوع لكبريائه ، وخشوع القلب والجوارح له ، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ، ويذهب طيشه وقوّته وحدّته .

وَجِمَاع ذلك : أنّه سبحانه يتعرّف إلى العبد بصفات إلاهيته تارة ، وبصفات ربوبيته تارة ، فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبَّة الخاصَّة ، والشوق إلى لقائه ، والأنس والفرح به ، والسرور بخدمته ، والمنافسة في قربه ، والتودد إلى خلقه ، واللهج بذكره ، والفرار من الخلق إليه ، ويصير هو وحده همَّه دون ما سواه ، ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكّل عليه ، والافتقار إليه ، والاستعانة به ، والذّل

والخضوع والانكسار له.

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيَّته في ألوهيَّته، وألوهيته في ربوبيته، وحمده في ملكه، وعزِّه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره، ونعمته في بلائه، وعطاءه في منعه، وبرَّه ولطفه وإحسانه ورحمته في قيُّوميَّته، وعدله في انتقامه، وجوده وكرمه في مغفرته وستره وتجوُّزه.

ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه، وعزه في رضاه وغضبه، وحلمه في إمهاله، وكرمه في إقباله، وغناه في إعراضه.

وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من التحريف، وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين، وأفكار المتكلفين، أشهدك مَلِكًا قيُّوما فوق سماواته على عرشه يدبِّر أمر عباده، يأمر وينهى، ويرسل الرسل، وينزل الكتب، ويرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعزُّ ويذلُّ، ويخفض ويرفع، يرى من فوق سبع ويسمع، ويعلم السرَّ والعلانية، فعَّال لما يريد، موصوف بكُل كمال، منزَّه عن كلِّ عيب، لا تتحرك ذرَّة فما فوقها إلا بإذنه، ولاتسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ليس لعباده دونه وليٌّ ولا شفيع[1]».

المطلب الثالث

العلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم

أولع النَّاس قديما وحديثا بالعلم والمعرفة، فتراهم ينقِّبون في الخرائب والكهوف ليتعرَّفوا على أخبار الماضين وأحوالهم، ويدرسون نبوءات الذين يتحدَّثون عن الغيب، ليعرفوا الأحداث الآتية، ويخترعون المراصد ليتعرفوا على النجوم والشموس والأقمار، بل أرسلوا المراكب الفضائيَّة التي تنطلق في الفضاء تحمل رجالا، أو آلات تكشف الكون، وتبيِّن الخافي من أموره وأحواله.

---

(١) الفوائد: ص ٨٠

وبحث البشر في الأرض : جبالها وسهولها وطبقاتها ، وغاصوا في البحار ليعرفوا ما فيها من حيوانات وأسرار ، ودرسوا أحوال الإنسان والنَّبات والحيوان ، ووضعوا المؤلفات التي تدوِّن العلوم التي عرفوها ، فدوَّنوا علم التاريخ والجغرافيا، والفلك والكيمياء والفيزياء ، والطب والنبات وغيرها من العلوم في شتى أنواع المعرفة .

وإذا كان شرف العلم بشرف المعلوم ، فإنَّ العلوم التي تعرِّفنا بربِّنا أشرف العلوم، فالعالم بالله أفضل من العالم بالديدان و الحيتان وطبقات الأرض والحيوانات والنجوم والإنسان.

يقول ابن العربيِّ رحمه الله تعالى : « شرف العلم بشرف المعلوم ، والباري أشرف المعلومات ، فالعلم بأسمائه أشرف العلوم » [1] .

إن الإسلام يدعو أتباعه إلى العلم والنَّظر وارتياد الكون والبحث في أسراره ، ولكنَّه يذمُّ الذين يقف علمهم عند حدود الحياة ، ولا يتعداه إلى العلم بخالق الحياة وفقه الغرض الذي أوجد اللّه من أجله الحياة والأحياء ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [2].

وإذا كانت علوم الدين أفضل العلوم ، فإنَّ العلم الذي يعرفنا بالله أفضل من غيره من العلوم ، ولذلك كانت النُّصوص المعرِّفة بالله وأسمائه وصفاته أفضل نصوص القرآن ، فآية الكرسيِّ كما صحَّ في الأحاديث أفضل آية في كتاب الله و ﴿ قل هو الله أحد ﴾[3] تعدل ثلث القرآن .

وما عظمت هذه النصوص إلا بحديثها عن الإله الواحد المعبود .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/٩٩٣

(٢) سورة الروم : ٧

(٣) سورة الإخلاص : ١

المطلب الرابع

العلم بأسماء الله وصفاته أصل للعلم بكل ما سواه

العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا أصل للعلم بكل معلوم ، فإنَّ المعلومات غير الله ـ تبارك وتعالى ـ قسمان :

الأوَّل : المخلوقات التي أنشأها الله – تبارك وتعالى – وكوَّنها وأوجدها .

والثاني : الأوامر التي أمر بها ، وهي قسمان : الأمر الكوني الذي خلق به الخلق، والأمر الشرعي الديني .

والله ـ تبارك وتعالى ـ هو صاحب الخلق والأمر ﴿ ألا له الخلق والأمر﴾ [1] .

ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى ، وهما مرتبطان بالأسماء الحسنى ارتباط المقتضى بمقتضيه ، فالأمر كلُّه مصدره عن أسمائه الحسنى ، وهذا كلُّه حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم ، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ، ونهاهم عنه ، فأمره كلُّه مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان ، إذ مصدره أسماؤه الحسنى .

وفعل الله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة ، إذ مصدره أسماؤه الحسنى ، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث ، ولم يخلق خلقه باطلا ولا سدى ولا عبثا .

وكما أنَّ كلَّ موجود سواه فبإيجاده ، فوجود سواه تابع لوجوده ، تبع المفعول المخلوق لخالقه ، فكذلك العلم به أصل للعلم بكلِّ ما سواه ، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم ، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم ، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كلِّ معلوم ، لأنَّ المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها ، وتأمَّل صدور الخلق و الأمر عن علمه وحكمته تعالى ، ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا ، لأنَّ الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله ، إمَّا أن يكون

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤

لجهل به ، أو لعدم حكمته ، وأمّا الربّ تعالى فهو العليم الحكيم ، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض [1].

المطلب الخامس
زيادة الإيمان

الإيمان يزيد بالعلم والعمل ، فكلّما علم العبد عن الله وآياته شيئا ازداد إيمانا ، وكذلك إذا استجاب العبد لما أمره الله به ازداد إيمانا ، وينقص الإيمان بنقص العلم والعمل ، قال تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ،و أما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ [2] .

فالمؤمنون يصدّقون بآيات الله المنزلة وما تضمّنته من علوم وتشريعات مع عزمهم على الامتثال لما دعتهم إليه ، وهذا يزيد إيمانهم ، أمّا المنافقون فإنّها تزيدهم كفرا بسبب تكذيبهم واستكبارهم عن الاستجابة لله .

ولا شكّ أنّ من أعظم ما جاءت به النصوص وبينته : أسماء الله وصفاته ، فمن آمن بها وفقه معناها ، وعمل بمقتضاها ، فإن إيمانه يزداد زيادة عظيمة .

إنّ العلم بأسماء الله وصفاته والفقه لمعناها والعمل بمقتضاها وسؤال الله بها يوجد في قلوب العابدين تعظيم الباري ، وتقديسه ومحبّته ، ورجاءه ، وخوفه ، والتوكّل عليه ، والإنابة إليه ، بحيث يصبح الباري في قلوبهم المثل الأعلى الذي لا شريك له في ذاته ، ولا في صفاته ، وليس لأحد مثل هذه المكانة التي في قلوبهم ، وبذلك يحقق العبد التوحيد القلبيّ ، وتتحقق العبوديّة للّه ، وتخضع القلوب لجلاله ، وتسكن النفوس لعظمته .

---

(١) راجع بدائع الفوائد : ١/١٦٣

(٢) سورة التوبة : ١٢٤

المطلب السادس

عظم ثواب من أحصى أسماء الله

ينال الحافظ لأسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ العارف بمعناها ، العامل بمقتضاها ، من الأجر مالا يعلمه إلا الله ، روى البخاريُّ في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لله تسعة وتسعين اسما ، مائه إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنَّة »[1].

تحقيق القول في المراد بالإحصاء المذكور في الحديث

اختلف اهل العلم في المراد بالإحصاء المذكور في الحديث ، فقيل : المراد به الإحاطة بمعانيها ، وقيل : العمل بمقتضاها مع فقه معناها ، والصواب من القول : أن المراد بالإحصاء هو عدُّها حتى يستوفيها حفظا ، فإنَّ هذا هو معنى الإحصاء في اللغة، يقول ابن منظور : « الإحصاء :العدد والحفظ ، وأحصى الشيء أحاط به . وفي التنزيل : ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾[2]. قال الأزهريُّ : أي أحاط علمه سبحانه باستيفاء عدد كلِّ شيء ، وأحصيت الشيء : عددته . وقال الفراء فى قوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ﴾[3] عَلِمَ أن لن تحفظوا مواقيت الليل[4]. وقال الفيروزآبادي : « أخذ من لفظ (الحصى) الإحصاء ، وهو التحصيل بالعدد .

يقال : أحصيت كذا ، واستعمال ذلك فيه من حيث أنهم كانوا يعتمدونه بالعدد كاعتمادنا فيه على الأصابع[5].

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) سورة الجن : ٢٨

(٣) سورة المزمل : ٢٠

(٤) لسان العرب : ١/٦٥٦

(٥) بصائر ذوي التمييز : ٢/٤٧٣

وقال ابن الأثير : « في أسماء الله المحصي » ، وهو الذي أحصى كل شيء بعلمه، وأحاط به ، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل ، والإحصاء العدُّ والحفظ .

ومنه الحديث : « لا أحصي ثناء عليك » ، أي لا أحصي نعمك، والثناء بها عليك ، ولا أبلغ الواجب فيه .

والحديث الآخر : « أكلَّ القرآن أحصيت؟ » أي حفظت [1].

وقال الزجاج : « يقال : حصيت الحصى ، إذا عددته ، وأحصيته ، إذا ميَّزته بعضه من بعض » [2].

وقد فسَّر البخاريُّ الإحصاء بالحفظ ، فقال بعد روايته للحديث : « أحصيناه : حفظناه » [3] .

ويدلُّ على صحَّة هذا القول أنَّه وردت رواية في صحيح البخاريِّ عن أبي هريرة بلفظ « للَّه تسعة وتسعون اسما ، مائة إلاّ واحدا ، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنَّة ، وهو وتر يحبُّ الوتر » [4]. قال ابن حجر العسقلانيُّ : « قال النووي: قال البخاري وغيره من المحققين : معنى أحصاها حفظها ، وهذا هو الأظهر لثبوته نصًّا في الخبر.

وقال في الأذكار ، هو قول الأكثرين .

وقال ابن الجوزيُّ : لما ثبت في بعض طرق الحديث : « من حفظها » بدل : « من أحصاها » اخترنا أنَّ المراد العدُّ ، أي من عدَّها ليستوفيها حفظا [5]

هذا هو الصواب من القول – إن شاء الله تعالى – فإن حفظ هذه الأسماء

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج : ص ٢٢

(٢) صحيح البخاري . فتح الباري : ١٣/٣٧٧

(٣) صحيح البخاري . فتح الباري : ١١/٢١٤

(٤) فتح الباري : ١١/٢٢٦

(٥) فتح الباري : ١١/٢٢٦

المباركة يبارك النفس ويزكيها ، ويملؤها بالأسماء الفاضلة الطيبة ، ولا ينافي هذا ما ذكره العلماء من أنَّ الحافظ لها ينبغي له التفقه في معانيها ، ودعاء الله بها ، يقول ابن عطية فيما ذكره عنه ابن حجر العسقلانيُّ : « معنى أحصاها : عدها وحفظها ، ويتضمن ذلك الإيمان بها ، والتعظيم لها ، والرغبة فيها ، والاعتبار بمعانيها»[1] .

ورتبه الفقيه بمعاني هذه الأسماء الحافظ لها فوق رتبة الذي أحصاها ولم يحط بمعناها ، وفوق هذين الحافظ لها الفقيه بمعناها الذي يدعو اللَّه ويمجده بها .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : **مراتب إحصاء أسماء الله ثلاث :**

الأولى : إحصاء ألفاظها وعددها .

الثانية : فهم معانيها ومدلولها .

الثالثة : دعاؤه به كما قال تعالى : ﴿و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[2][3] .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالإحصاء هنا الإيمان و الفقه لمعناها ، أو حفظ كتاب الله المتضمن لها ، أو العمل بمقتضاها .

قال ابن حجر العسقلانيُّ في قوله : « من أحصاها » أربعة أقوال :

أحدها : حفظها .

ثانيها : من عرف معانيها وآمن بها .

ثالثها : من أطاقها بحسن الرعاية لها ، وتخلَّق بما يمكنه من العمل بمعانيها .

رابعها : أن يقرأ القرآن حتى يختمه ، فإنَّه يستوفي هذه الأسماء في أضعاف التلاوة .

واختار هذا المذهب أبو عبد الله الزبيري .

قال النووي : **الأول** هو المعتمد .

قلت : ويحتمل أن يراد مَنْ تتبعها من القرآن ، ولعله مراد الزبيري[4] .

---

(١) المصدر السابق

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠

(٣) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٤

(٤) تلخيص الحبير : ٤/ ١٧٤

المطلب السابع
تعظيم الله وتمجيده ودعاؤه بأسمائه وصفاته

أسماء الله وصفاته تدلُّ على عظمته تبارك وتعالى ، ومن هنا كثرت أسماؤه وصفاته ، وقد قيل : « العظيم من كثرت صفات كماله »[1] .

وإذا كانت صفات الله وأسماؤه تدل العباد على عظمة الباري – جلَّ وعلا – وكماله وسؤدده ، فإنَّها أعظم سبيل يستطيع العباد سلوكه لتعظيم الله وتقديسه وتمجيده ودعائه .

وقد أمرنا الحقُّ بدعائه بأسمائه الحسنى فقال : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[2]. « والدعاء في اللغة والحقيقة هو الطلب . أي اطلبوا منه بأسمائه »[3] .

ودعاء الله بأسمائه الحسنى **مرتبتان** كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى[4]:

الأولى : دعاء ثناء وعبادة : وقد أمرنا الله ـ تبارك و تعالى ـ أن نمجده ونثني عليه فقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا﴾[5].

وفي الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد أحب إليه المدح من الله »[6]، وقدّ وعد الله بذكر من يذكره ، قال تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا

---

(١) راجع بدائع الفوائد : ١/ ١٦٠

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠

(٣) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/ ٨٠٥

(٤) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٤

(٥) سورة الأحزاب : ٤١- ٤٢

(٦) رواه البخاري . فتح الباري : ١٣/ ٣٨٣

تكفرون ﴾[1] . وفي الحديث الذي يرويه البخاريّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النَّبيُّ صلى اللّه عليه وسلَّم : « يقول اللّه تعالى : أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[2] .وأخبرنا الحقُّ أن الذاكر للّه يطمئنُّ قلبه ، وتهدأ نفسه ﴿ ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب ﴾[3].

الثانية : دعاء طلب ومسألة :وقد أمرنا ـ تبارك و تعالى ـ بدعائه والطلب منه ووعدنا بالإجابة ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾[4].

ودعاء الله وسؤاله لا ينبغي أن يكون إلاَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فلا يقال: يا موجود ، أو يا شيء ، اغفر لي وارحمني .

وقد نبَّه علماؤنا إلى أن السائل ينبغي أن يتخيَّر في كلِّ سؤال الأسماء المناسبة للطلب الذي يطلبه ، يقول ابن القيم : « يسأل في كلِّ مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب ، فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم ، ومن تأمَّل أدعية الرسل وجدها مطابقة لهذا »[5]. ويقول : يأتي السائل بالاسم الذي يقتضيه المطلوب ، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ولايحسن أن تقول : إنَّك أنت السميع البصير[6] .

ويقول ابن العربي :« يطلب بكلِّ اسم ما يليق به ، تقول : يارحيم ارحمني ، ياحكيم احكم لي ، يا رزَّاق ارزقني ، يا هادي اهدني »[7]، ونبَّه ابن العربي إلى أنَّ بعض أسمائه ـ تبارك وتعالى ـ أسماء عامَّة تصلح لأن يدعى بها في كلِّ موضع ،

---

(١) سورة البقرة : ١٥٢

(٢) صحيح البخاري . فتح الباري : ١٣/ ٣٨٤

(٣) سورة الرعد : ٢٨

(٤) سورة غافر : ٦٠

(٥) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٤

(٦) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٠

(٧) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/ ٨٠٥

وفي كلَ الأمور ، مثل : الله ، الربّ .

نماذج من تمجيد الله ودعائه بأسمائه وصفاته

جاء في الكتاب والسنَّة نصوص كثيرة ، فيها تمجيد وثناء على الله وتعظيم له بأسمائه وصفاته ، كما فيها دعاء وسؤال له .

فمن النصوص الممجِّدة للَّه ربِّ العالمين قوله : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ [1].

وقوله : ﴿ وهو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ [3] . وقوله : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ [4]. وقوله : ﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ﴾ [5]. وقوله : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ... ﴾ [6].

ومن دعاء العبادة في الأحاديث ما جاء في دعائه صلى الله عليه وسلم :« اللَّهمَّ أنت السلام ومنك السَّلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ». رواه أبوداود

---

(١) سورة الأنعام : ١

(٢) سورة القصص : ٧٠

(٣) سورة فاطر : ١

(٤) سورة الروم : ١٧

(٥) سورة الجمعة: ١

(٦) سورة الملك : ١ - ٣

والنسائي [1]. ومنه دعاؤه ـ صلى الله عله وسلم ـ في تهجده في الليل الذي يقول فيه مثنيا على ربه ممجدا له : « اللَّهمَّ لك الحمد ، أنت نور السَّموات والأرض ومن فيهنَّ ، ولك الحمد أنت قيِّم السَّموات والأرض ومن فيهنَّ ، ولك الحمد ، أنت الحقُّ، ووعدك حقٌّ ». رواه البخاري ومسلم [2].

وكان دعاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الكرب : « لا إله إلاَّ اللَّه العظيم الحليم ، لا إله إلاَّ الله ربُّ السَّموات والأرض ، وربُّ العرش العظيم »[3]. وفي سنن النسائي أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»[4].

وروى البخاري في صحيحه عن شدَّاد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيِّد الاستغفار أن يقول : اللَّهمَّ أنت ربِّي لا إله إلاَّ أنت، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت . قال : من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنَّة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنَّة»[5].

وعندما اشتكى المقلُّون ذهاب أهل الدثور بالأجر لما يفعلونه من الخيرات بأموالهم ، قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم : « أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم ، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله : تسبحون في دبر كل صلاة عشرا ، وتحمدون عشرا ، وتكبرون عشرا »[6].

---

(١) جامع الأصول : ٤/٢١٧

(٢) صحيح البخاري . انظر فتح الباري : ١١/١١٦

(٣) صحيح البخاري . انظر فتح الباري : ١١/١٤٥

(٤) جامع الأصول : ٤/١٩٨

(٥) صحيح البخاري . فتح الباري : ١١/٩٧

(٦) صحيح البخاري . فتح الباري : ١١/١٣٢

ومن دعاء المسألة قوله تعالى : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [1].

وقوله : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ [2].

وقوله : ﴿ رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ﴾ [3]. وقوله : ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ [4].

وقد جمعت سورة الفاتحة ـ وهي أفضل سورة في القرآن ، بل في الكتب السماويَّة كلِّها ـ بين دعاء العبادة ودعاء المسألة ، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « قال اللّه عز وجلَّ : قسمت الصَّلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿الحمد للّه ربِّ العالمين ﴾. قال اللّه : حمدني عبدي . فإذا قال :﴿ الرَّحمن الرَّحيم .﴾ قال : أثنى عليَّ عبدي.فإذا قال :﴿ مالك يوم الدِّين﴾. قال : مجَّدني عبدي . وقال مرَّة : فوَّض إليَّ عبدي . وإذا قال :﴿ إياك نعبد وإيّاك نستعين﴾ . قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل . فإذا قال : ﴿ اهدنا الصِّراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضَّالّين ﴾[5]. قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » رواه الجماعة إلا البخاريَّ وابن ماجة[6] .

---

(١) سورة البقره : ٢٨٦

(٢) سورة آل عمران : ٨

(٣) سورة طه : ٢٥ ـ ٢٨

(٤) سورة الفرقان : ٧٤

(٥) سورة الفاتحة

(٦) نيل الأوطار : ٢/ ٢١٤

المطلب الثامن

العلم بالله وفق المنهج القرآني النبوي سبب للتمكين في الأرض، والضلال عنه سبب للهزيمة والخذلان

العلم بالله تبارك و تعالى ، وفق المنهج القرآنيّ النبويّ يرسّخ العقيدة الحقّة والمعرفة الصادقة بالله تعالى ، ويجعل العباد سائرين علىٰ الصراط المستقيم ، وهذا يقرّب العباد من ربّهم ، فيحل الله بهم رضوانه ، وينزل عليهم بركاته ، ويكون هذا سببا للنّصر والتأييد ، والتمكين للمسلمين في الأرض تحقيقا لموعود الله ، ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾[1] .

فإذا حاد العباد عن الدّين الذي ارتضاه لهم ، فإنّ ذلك يكون سببا لانقراض ملكهم وسلطانهم ، وإدالة عدوّهم عليهم .

وقد تحدّث شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله تعالى ـ عن الآثار المدمّرة التي نشأت عن هذه الانحرافات وأمثالها في المجتمع الإسلامي فقال : هذا الجعد بن درهم الذي ينسب إليه مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية ، كان شؤما عليه حتى زالت الدولة ، فإنّه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم ، ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنيه وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم ، وهو حقيقة قول فرعون « إنكار الصانع وإنكار عبادته » وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض ، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام : الرافضة ، وظهر بسببهم الرفض والإلحاد ، حتى كان من ينزل الشام مثل بني حمدان والغالية ونحوهم متشيّعين ، وكذلك من كان من بني بويه في المشرق .

وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم ، قال : وبسبب ذلك اشتغلت

---

(١) سورة النور : ٥٥

بالفلسفة.

وكان مبدأ ظهورهم من حين تولّي المقتدر، ولم يكن بلغ بعد، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية، ولهذا سمّي حينئذ بأمير المؤمنين الأمويُّ الذي كان بالأندلس، وكان قبل ذلك لايسمّى بهذا الاسم، ويقول: لا يكون للمسلمين خليفتان، فلمّا ولي المقتدر، قال: هذا صبيٌّ لا تصحّ ولايته، فسمّي بهذا الاسم.

وتحدّث شيخ الإسلام عن بني عبيد الله القداح، وأنّهم كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين، وكان نسبهم الذي ادّعوه باطلا كدينهم، بخلاف الأموي والعباسي، فإنّ نسبهما صحيح، وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين.

وبين شيخ الإسلام كيف كان ظهور النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسل سببا في تسليط الأعداء على المسلمين، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرّة بعد مرّة، وأخذوا الثغور الشاميّة شيئا بعد شيء إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة.

وبين شيخ الإسلام كيف أن الله أظهر دينه وأعز أتباع هذا الدين عندما تولى نور الدين الشهيد، وقام بأمر الإسلام، وأظهر الإسلام، وجاهد في سبيل الله، وكيف قضى صلاح الدّين الأيوبي على العبيديين، فأظهر الله به الإسلام وقمع به المرتدين، والفاسدين.

وقد أطال شيخ الإسلام الحديث عن تأثير البدع والانحرافات وظهور الضلالات في مجتمع المسلمين، وكيف أن ظهورها يكون سببا في ذلّ المسلمين، وتسليط عدوهم عليهم، وأن استقامة المسلمين على أمر الله يكون سببا في عزّة الإسلام وأهله إلى أن قال: «والمقصود هنا أنّ دولة بني أميّة كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها»[1].

---

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٣/ ١٧٧ - ١٩٢

المبحث الرابع
فوائد مزعومة

يذكر بعض الباحثين في أسماء الله وصفاته فوائد ومنافع لم يدلَّ عليها عقل أو نقل ، وسنأتي على بعض ما يذكرونه في هذا الباب ، حتى يكون المسلمون على بيّنة من أمرهم فيما يأتون وفيما يتركون ، والله والمستعان .

المطلب الأوّل
الزعم بأن للأسماء خواصّا وأسرارًا خفيّة [1]

يدَّعي هؤلاء بأنَّ لكلِّ اسم من أسماء الله الحسنى خواصًا وأسرارا تتعلق به على إفاضة فيها أو إيجاز ، وقد يغلو بعض الناس فيتجاوز هذا القدر إلى الزعم بأن لكلِّ اسم خادما روحانيا يخدم من يواظب على الذكر به ، ويذكر بعض الذين ساروا في هذا الاتجاه أنَّهم يكشفون بأسماء الله أسرار المغيبات ، والخافي من المكنونات ، ويزعم بعض هؤلاء أنَّ اسم الله الأعظم سرٌّ من الأسرار ، يمنح لبعض الأفراد ، فيفتحون به المغلقات ، ويخرقون به العادات ، ويكون لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس .

وهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة لم يأتوا بنصّ من كتاب ربِّنا ولا حديث من صحيح سنة نبيِّنا ، وكلُّ ما اعتمدوا عليه لا تقوم به حجة ، ولا ينهض به دليل ، وما كان كذلك فلا اعتبار له ، وحسبنا في ردِّه قوله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ عمل

---

(١) راجع في هذه المسألة : أبجد العلوم لصديق حسن خان . الجزء الثاني . القسم الأول ص ٨١ ، ٢٨٨ .
ومجموع الرسائل للشيخ حسن البنا : ص ٤٤٤ .
وإن شئت التوسع في الإطلاع على هذا الموضوع فارجع إلى مقدمة ابن خلدون فقد أطال في عرض هذه المسألة .

ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

وقد فتحت هذه المقولة باب الخرافة ، ودخل السّحرة والمشعوذون من هذا الباب ، فترى عبّاد الشيطان يمكرون بالنّاس ، ويكيدونهم بالسّحر ، ويزعمون أنّهم يسخّرون غيرهم ، ويؤثّرون فيهم ، ويعلمون المستور من الأخبار بما اطلّعوا عليه وعرفوه من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا .

ولا يزال لهذا النّوع من النّاس وجود في ديار المسلمين ، وبعض البسطاء من الناس يثقون بهم ، ويتابعونهم على ضلالهم ، فعلى العلماء وطلبة العلم أن يحذّروا من هذا الصنف وكيده ، نصيحة لله ورسوله والمؤمنين .

المطلب الثاني
المطالبة بالتشبه بصفات الله تبارك وتعالى

يرى بعض الباحثين أنّ من فوائد معرفة صفات الباري التّشبه بأخلاق الله ، أو التّخلق بأخلاق الله ، وهذه العبارة مأخوذه من قول الفلاسفة : الفلسفة التشبه بالله على قدر الطاقة .

وهذا المنحى غير سديد لأمور :

الأوّل : أن صفات الله لا يجوز أن يقال فيها : أخلاق الله ، بل الأخلاق للإنسان ، أمّا فيما يتعلق بالله فيقال : صفاته .

الثاني : أنّ الفلاسفة متناقضون ، فتحقيق مذاهبهم نفي الصفات عن الله عز وجل ، فكيف يدعون إلى التشبه بصفات الله وهم ينفونها عن الله .

الثالث : وعلى فرض أنّ من قال هذه المقالة يثبت صفات الباري ، فإنّ من صفاته ماجاءت النصوص مانعة من إطلاقه على العباد ، فقد نهانا الحق عن الاتصاف بالكبر والعظمة ، فالله وحده المتكبر العظيم .

والصواب أن يقال : إن علينا أن نتخلق بالأخلاق التي أمرنا الله ورسوله بالتخلق بها ، ونبتعد عن الأخلاق التي نهينا عن التخلق بها ، فقد أمرنا الله بالتخلق بصفة الرحمة والصدق والعلم ، والله متصف بهذه الصفات ، ونهينا عن التخلق بأخلاق الكبر والعظمة ، وهذه من صفات الله ، كما نهينا عن التخلق بالكذب والغيبة والنميمة ، وهذه ليست من صفات الله .

obeikandl.com